

من البنا إلى البغدادي مروراً بين لادن.. صناعة «الإمام الشهيد»

تفجير سترة زعيم داعش في سوريا يُترجم عملياً خرافة المجاهد العالمي



نفس الأسئلة تطرح بعد سبعة عقود من اغتيال البنا

مخاوف أميركية من رواية ترامب الهوليوودية

واشنطن - اعربت مصادر أميركية عن قلقها من المعلومات التي كشفها الرئيس الأميركي دونالد ترامب حول العملية العسكرية التي أدت إلى مقتل قائد تنظيم داعش أبو بكر البغدادي. وكشف إعلان ترامب عن وفاة زعيم داعش مجموعة كبيرة من التفاصيل الحساسة حول العملية العسكرية التي يمكن أن تعرض الغارات المستقبلية وأسباب ترامب أثناء المؤتمر الصحافي الذي دام 48 دقيقة كاملة في الحديت عن ظروف العملية العسكرية التي قال إنه كان متابعاً لها مباشرة "كما لو أنك تشاهد فيلماً سينمائياً".

إعلان ترامب عن قتل البغدادي يكشف تفاصيل عسكرية سرية

وقال ترامب "هؤلاء الأشخاص أذكاء للغاية، لم يعوّدوا يلجأون إلى استخدام الهواتف الذكية"، مضيفاً "إنهم أذكاء للغاية من الناحية الفنية، كما تعلمون، هم يستخدمون الإنترنت أكثر من أي شخص في العالم". وتسأل ناغاتا "لماذا يذكر ذلك؟"، مضيفة أن في ذلك ما يضر بعمل المهندسين المنكبين على مراقبة شبكات الإنترنت المشبوهة.

وقال ترامب قد ذهب إلى وصف دقيق لتصميم المجمع الذي كان يباوي زعيم تنظيم داعش. ونقل عن قائد عمليات خاصة طلب عدم الكشف عن هويته "هذا أمر حساس جداً"، مضيفاً أن "العدو يعرف إلى حد ما أنه بات يمكننا اكتشاف ذلك، لكنه لا يعرف كيف يتم ذلك، ونحن لا نريد ذلك".

ويقول أريك روبنسون، وهو ضابط مدرب شغل مناصب في قوات المخابرات والعمليات الخاصة حتى العام الماضي، إنه ليس على الرئيس أن يكشف أموراً كهذه، "إنه متهور، ولكن الأمر ليس أسوأ من إظهاره لصور الأقمار الصناعية التي رصدت موقع إطلاق إيران لصواريخها الفضائية. كان ذلك سيئاً".

ويأخذ بعض جنرالات الجيش الأميركي ذهاب الرئيس دونالد ترامب إلى الحديث عن عدد المروحيات التي استخدمت في عملية قتل البغدادي، وعن لجوء رجال القوات الأميركية الخاصة إلى "تفجير ثقب في جانب المبنى، دون الرغبة في المرور عبر الباب لأنه كان مخفياً".

والتي تسببت في تطوير عنفها عالمياً تحت راية بن لادن الذي ظل ينتظر الموت حتى أثاره على يد قوات أميركية في 2011، لطوي قتلته مرحلة الجهادي التقليدي، وليبرغ نجم جيل جهادي الشباب الحادي والعشرين، يترجمهم أبو بكر البغدادي الذي نما وعيه على مناهج البنا وقطب وبن لادن، ونما تنظيمه في ساحات جهاد مفتوحة بالعراق ثم سوريا.

وتطورت مناهجه لتتجاوز تقليدية البناء التنظيمي لخلايا الجهاد، وتقرن أداءات إعلامية رسالتها الانتصار بالرعب، ولتتحول ساحات السيطرة على الأراضي في العراق وسوريا إلى حواضن إعداد متعددة الجنسيات تعمل على مشروع إنتاج "المجاهد المسلم العالمي"، والمعروف إعلامياً بـ "الذئب المنفرد".

خلال 18 شهراً مضت، بدأت حالة تايميل إلكتروني للجيل القادم من "جند الفرز" عبر إصدار دوري في صورة مجلة، إنه الإصدار الذي وصلت أعداده حتى كتابة هذه الأسطر إلى 28 عداً، تتجاوز في مناهجها فعل التاهيل العقدي التقليدي، لتتعداه إلى خطاب متكامل البنية ومُتعدد المستويات ومتنوع المتلقي جنساً وجنسية وعمراً، إنه حديث إلى مواطني دولة الخلافة الذين أجبرتهم المواجهات العسكرية في الساحات المفتوحة على الهجرة إلى كل الدنيا، والكونون إلى حين امتلاك القدرة على الفعل أي فعل، ويصل إليهم التنظيم شيوخاً في كل تخصص عبر الفضاءات الإلكترونية حاملين كل جرعات التاهيل.

وفي مايو 2011، حين قتلت القوات الأميركية بن لادن، أعلنت السلطات وقتها أنها صادرة وثائق وأقراص مُدمجة وأجهزة كمبيوتر تحوي معلومات تخص القاعدة، وهو نفس الإجراء الذي أشار إليه ترامب في كلمته عن قتل البغدادي.

غير أن الواقع في حالة بن لادن لم يُنشر إلى أن هذه الوثائق غادرت أحضان أجهزة الاستخبارات الأميركية، وهو ما يشي بان مصير أوراق البغدادي سيلحق بسابقها المصادرة عن القاعدة، وفي الحالتين اعتبر العقل الأمني الحاكم للمعركة أن الوثائق غنيمة معلوماتية له فقط، وهو ما يُفسر السبات العميق الذي استتبط منه العالم على أعلام داعش ترفرف في بقاع عدة من الأرض.

الذين يسوقهم تنظيم أممي يحتشد على أرض أفغانستان صراع قُطني العالم، لتؤسس للحاضنة الجهادية الأممية القاعدة بزعامة إمام خرج من حاضنة البنا الفكرية.

تفسير التزام البغدادي

وأصبح المُجدد للأجيال الجهاد الثالثة، والتي تستمر في تطوير عنفها عالمياً تحت راية بن لادن الذي ظل ينتظر الموت حتى أثاره على يد قوات أميركية في 2011، لطوي قتلته مرحلة الجهادي التقليدي، وليبرغ نجم جيل جهادي الشباب الحادي والعشرين، يترجمهم أبو بكر البغدادي الذي نما وعيه على مناهج البنا وقطب وبن لادن، ونما تنظيمه في ساحات جهاد مفتوحة بالعراق ثم سوريا.

وتطورت مناهجه لتتجاوز تقليدية البناء التنظيمي لخلايا الجهاد، وتقرن أداءات إعلامية رسالتها الانتصار بالرعب، ولتتحول ساحات السيطرة على الأراضي في العراق وسوريا إلى حواضن إعداد متعددة الجنسيات تعمل على مشروع إنتاج "المجاهد المسلم العالمي"، والمعروف إعلامياً بـ "الذئب المنفرد".

خلال قرابة تسع سنوات، استطاع البغدادي أن يبني مجتمعاً للجهاديين، كونه أسراً، أنتجت أطقماً لا يعرفون لهم ديناً إلا دين (الخلافة).

وحسب إحصاءات نُشرت في صحيفة "الإنديبننت" في أغسطس 2018، فإن عدد المقاتلين الأجانب ستة آلاف في العراق وسوريا، ومعهم 53781 فرداً من 146 دولة سجلت السلطات التركية أسماءهم كمشتركيين في محاولة الانضمام إلى المقاتلين في القطرين، وكان بينهم 1680 من مقاتلات الخلافة، المرديات على القتال والتجنيد وتنفيذ العمليات الانتحارية وعمليات القتل بالأسلحة البيضاء.

علاوة على جيش من الأطفال (أشبال الخلافة) وتشير الإحصائيات إلى أن منهم 900 طفل من مصر، الإمارات، الكويت، الأردن وتونس، وجميع هؤلاء الجنود بتصنيفاتهم يحملون تكليفاً تامينياً أصدره البغدادي "لا يتمكن عدو منكم". كانت هذه التوصية درس المستنجد من قتل أسامة بن لادن، وجعلت الضابط الذي بات حاكماً لحركة كل مجاهد عالمي، لا يتحرك إلا مرتدياً بسترته النافذة، وهو ما التزم به الإرهابي الحسن عبدالله الذي فجر نفسه بمجرد توقيفه من قبل رجال الأمن المصري أثناء سيره بحى الأزهر بالقاهرة في فبراير 2019، كان فعل الحسن اتساقاً مع تكليف البغدادي الذي يستوي في الالتزام به من بايعه مباشرة، مع من بايع على الجهاد في الحلق.

عند هذه النقطة يُمكن أن يعود بنا مشهد الواقع لحديث الرئيس ترامب الذي قال فيه "البغدادي فجر سُنْدرة ناسفة كان يرتديها بعد أن خُسر في نفق وكان يصرخ وينوح، البغدادي مات ميتة الكلاب والجنائز". بعيداً، عن أداء ترامب الاحتفالي بمقتل البغدادي، يلزم العالم أن يتوقف لإعادة النظر في إستراتيجية مكافحة الإرهاب عالمياً، ليس باعتباره

الذي يسوقهم تنظيم أممي يحتشد على أرض أفغانستان صراع قُطني العالم، لتؤسس للحاضنة الجهادية الأممية القاعدة بزعامة إمام خرج من حاضنة البنا الفكرية.

وأصبح المُجدد للأجيال الجهاد الثالثة، والتي تستمر في تطوير عنفها عالمياً تحت راية بن لادن الذي ظل ينتظر الموت حتى أثاره على يد قوات أميركية في 2011، لطوي قتلته مرحلة الجهادي التقليدي، وليبرغ نجم جيل جهادي الشباب الحادي والعشرين، يترجمهم أبو بكر البغدادي الذي نما وعيه على مناهج البنا وقطب وبن لادن، ونما تنظيمه في ساحات جهاد مفتوحة بالعراق ثم سوريا.

وتطورت مناهجه لتتجاوز تقليدية البناء التنظيمي لخلايا الجهاد، وتقرن أداءات إعلامية رسالتها الانتصار بالرعب، ولتتحول ساحات السيطرة على الأراضي في العراق وسوريا إلى حواضن إعداد متعددة الجنسيات تعمل على مشروع إنتاج "المجاهد المسلم العالمي"، والمعروف إعلامياً بـ "الذئب المنفرد".

خلال قرابة تسع سنوات، استطاع البغدادي أن يبني مجتمعاً للجهاديين، كونه أسراً، أنتجت أطقماً لا يعرفون لهم ديناً إلا دين (الخلافة).

وحسب إحصاءات نُشرت في صحيفة "الإنديبننت" في أغسطس 2018، فإن عدد المقاتلين الأجانب ستة آلاف في العراق وسوريا، ومعهم 53781 فرداً من 146 دولة سجلت السلطات التركية أسماءهم كمشتركيين في محاولة الانضمام إلى المقاتلين في القطرين، وكان بينهم 1680 من مقاتلات الخلافة، المرديات على القتال والتجنيد وتنفيذ العمليات الانتحارية وعمليات القتل بالأسلحة البيضاء.

هل يتأثر البناء التنظيمي للجماعات الإسلامية المتطرفة بقتل الزعيم الإمام أو الخليفة، أم يُمثل مقتله محطة تحول نحو التطور في البناء والأداء بما يوسع دوائر تهديده؟ هذا السؤال الذي يواجهه العالم اليوم بمجرد الانتهاء من متابعة تفاصيل مشهد النهاية في حياة أبو بكر البغدادي، مؤسس تنظيم داعش الإرهابي.

القاعدة، داعش، وقبلهم الإخوان، جميعها لا تربط العضو الجديد بمنهج أو حتى بتدريب على سلاح، وإنما بدايات التجنيد (الدعوة) تكون عبر الطرق على وتر ماضي المسلمين والحرب على الإسلام، بهدف إيقاظ الإيمان المخدر سعياً لإيقاظ الهمة بما يدفع للبحث عن الموت باعتباره السبيل لأن توهب لكم الحياة.

في مطلع عام 2006 كنت المسؤول عن لجنة الإنترنت بإعلام تنظيم الإخوان، وكان أن تم استدعائي صباحاً عبر نائب المرشد الثاني (خيرت الشاطر) لمكتب الإرشاد، في الاجتماع الذي ضم النائب الأول للمرشد محمد حبيب، وأمين عام التنظيم حينها محمود عزت، ومعهم عضو المكتب الراحل محمد مرسى، كانت القضية العاجلة تتمثل في أن مُنتدى الإخوان على الإنترنت، وكان يدار من قبل شباب تنظيميين متواجدين بين مصر وقطر، قام بنشر مُشاركة لأحد الأعضاء وصف فيها أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة بعبارات تحمل الكثير من التقدير كان منها "الشيخ المجاهد العالم العامل". حاولت وقتها شرح طبيعة المنتدى وساحات التعبير المفتوحة فيه، والفرق بينها وبين الموقع الرسمي، غير أن قرار الاجتماع كان تكليفي بالتواصل مع شباب المنتدى لإبلاغهم بقرار مكتب الإرشاد حذف هذه المادة من الموقع حتى لا يتم اتخاذها ذريعة للربط بين الإخوان والقاعدة، وكان أن نفذت التكليف واستجاب الشباب غير أنني حين راجعت ما سطرته التدوينية اكتشفت أنها تحمل رأي القاعدة العريضة من أبناء التنظيم.

مطلع شهر مايو 2011 كنت أنتظر اللحظة التي أعلن فيها استقالتي من التنظيم والتي كانت نهاية ذات الشهر، وفي صباح مُشابه لصباح مؤتمر الرئيس الأميركي دونالد ترامب، خرج الرئيس السابق باراك أوباما ليُعلن عن قتل أسامة بن لادن والقضاء جثته في المحيط.

كان هذا الصباح مختلفاً عن صباح 2006 الذي شهد رفضاً قاطعاً من مكتب الإرشاد لتوصيف أسامة بن لادن بصفتة الشيخ في منتدى عام يحمل اسم الإخوان، حيث أن صباح مايو 2011 كان قد أتى وإخوان مصر على أعتاب التمكين، وهو ما يستدعي أن يصطف كل أبناء مشروع الدين السياسي (التنظيمات الإسلامية)، حول تصد التنظيم الإخواني للمشهد.

قبل مقتل البنا به أعوام، تحديداً عام 1945، وقف مؤسس التنظيم موجها رسالة إلى رؤساء المناطق ومراكز الجهاد حملت عنوان (رسالة الجهاد) رسخت هذه الرسالة معاني أساسية عليها تقوم عملية صناعة الجهادي أياً كان تنظيمه.

محاولة البحث عن إجابة على سؤال تأثر التنظيم الهيكلي لداعش بعد إعلان واشنطن عن مقتل زعيمه أبو بكر البغدادي، بدأت منذ عام 1991 في القاهرة، لدى قتل مؤسس تنظيم الإخوان حسن البنا

عبر هذه المعاني تطورت ليات صناعة الجهادي، خلال المسافة الزمنية بين مقتل البنا والبغدادي، وبات حصد أرواح القادة عملية دفع مستمرة، ضامنة لبقاء المنهج الأصيل وتطور أدوات تحقيقه، وهو ما عبر عنه سيد قطب بقوله "إن كلمتنا تظل عرائس من الشمع حتى إذا متنا في سبيلها، دبت فيها الروح وكُتبت لها الحياة".

ظل أداء الجيل الأول من الجهاديين في حالة ثبات حتى كان مقتل البنا، ليبدأ ديبب الروح في مناهج الجهاد، وبغدو "الإمام الشهيد" هو السابق إلى الجنة، ويظل هذا الجيل في طوره الأول إلى أن يُصدر سيد قطب أولى الترجمات لمنهج الجهاد المعاصر في إطار ما وضعه البنا من أسس، وبإعدام قطب المحسوب بعلمية التخطيط تبدأ روح جديدة تسري في الجيل الثاني من جهاديي السبعينات

عبد الجليل الشرنوبلي
كاتب مصري

القاهرة - إن محاولة البحث عن إجابة على سؤال تأثر التنظيم الهيكلي لداعش بعد إعلان واشنطن عن مقتل زعيمه أبو بكر البغدادي، بدأت منذ صيف عام 1991 بمدينة دمنهور في شمال غرب القاهرة، بعد أكثر من أربعة عقود على قتل مؤسس تنظيم الإخوان حسن البنا، حيث دورة الاعتماد التربوي لكاتب هذه السطور في رحلة الصعود داخل تنظيم الإخوان، كان ذلك بعدما اجتزت مرحلة المؤيد ثم المؤيد القوي.

في هذه الدورة يضع العضو قدمه على أولى درجات الترقى التنظيمي بعدما تتم مُصارحته أنه عضو في تنظيم الإخوان، وتُوّجت الدورة بمحاضرة لقيادي من الرعييل الأول للتنظيم، وفي حضرة من عايش البنا، حيث يكون العضو التنظيمي في حالة احتشاد نفسي وعاطفي وإيماني، ترقى لدرجة الاستنفار. حتى الرجل كثيراً عن حال البنا، وذكر أن سيد قطب كان يوم مقتل البنا في إحدى مستشفيات الولايات المتحدة، ولم يكن حينها سوى أديب، وفجأة سمع أجراس الكنائس تدق في غير وقت الصلوات، فسأل عن السبب وكانت الإجابة: هذه دقات احتفال بموت حسن البنا في مصر، الرجل الذي كان يُعد لإعادة الخلافة العودية ودخول جماعة الإخوان.

عبر سنوات تلت هذا التاريخ، تواتر داخل التنظيم ذكر هذه القصة بصيغ مختلفة في سرد التفاصيل وإن انفتقت في الجوهري. وعبر مشهد سينمائي تنظيمي الإخراج، ينسكب في وعي كل عضو في التنظيم ديني ما يروي إنبات شخصية الأمام المجاهد عبر ترجمة عملية لتوصيف مؤسس التنظيم بالإمام (الشهيد)، وتحول عملية نقله إلى وقود يُجدد دماء التنظيمات ويُطوّر من الأداءات العنيفة للأعضاء، كلما عايشوا معنى الشعار الأساسي للتنظيم "الجهاد سبيلنا- الموت في سبيل الله أسمى أمانينا".

من مصر إلى تركيا

تطوّر الاستثمار التنظيمي الأسطوري لقتل الزعيم، عبر تعميم النموذج السابق، حيث الأحداث تنقلنا من مصر إلى تركيا في 28 أغسطس 2016، وهناك يقم رجل الأعمال وعضو المكتب السياسي للتنظيم الإخواني أحمد مطر الذي كتب على صفحته الشخصية "في مثل هذا اليوم من 50 عاماً، فوجئ المهندس التركي نجم الدين أربكان باحتفالات في ألمانيا، سأل عن سببها، فأجابوه تم اليوم إعدام إرهابي في مصر اسمه سيد قطب، فسأل عن كتبه واحضرها جميعاً وقرأها، فافتتح بالفكر وتبني الفكرة، وكانت بداية ولادة الحركة الإسلامية في تركيا، وأصبح تلاميذه رؤساء الجمهورية والحكومة والبرلمان والجزء الحاكم".

دقت الكنائس في الغرب لمقتل البنا فكانت الإشارة لأن يستلم رايته سيد قطب وهو في أميركا، فيما يتم إعدام الأخير في مصر فتدق نفس الكنائس لكن في ألمانيا هذه المرة، لتكون الإشارة التي ينتظرها نجم الدين أربكان ليحمل الراية في تركيا. هذا السيناريو يُمكن عبر استقصاء صحافي الوصول إلى تنويع تنظيمية تحمل جنسيات مختلفة وبيعت واحدة، بما يضمن أن تحفل سير قيادات التنظيم في الأقطار المختلفة بهذا أساطير تربط بين الرُعماء التاريخيين، حيث يُسلم راية القيادة زعيم شهيد لزعيم مُجدد الموت في سبيل تنظيمه هو اسمى غاياته.

إنها الحاضنة العقديّة الرئيسة التي تنتج الجهاد، عبر أوعية تربوية شعاعها الرئيس (وأعدوا) وأركانها الأساسية، وهي الأصل الذي تنبت عنه كل مناهج تنظيمات الدين السياسي بتنوع قياداتها ومرجعياتها سنية وشيعية.

ولذا لا يجب أن نندش حين نكتشف كل أدبيات هذه التنظيمات أمثال: جهاد، حزب الله، جماعة إسلامية، الحرس الثوري، التكفير والهجرة، الحوثي،